جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

القيم الاخلاقية لرجل الامن بين حقوق الفرد ومصلحة المجتمع

الدكتور : ابراهيم زيد الكيلاني

الرياض

1408 هـ - 1988 م

القيم الأخلاقية لرجل الأمن
بين حقوق الفرد ومصلحة المجتمع

الدكتور ابراهيم زيد الكيلاني(*)

التمهيـــد:

اذا كانت حياة المجتمع وسريان القوة بفعالياته الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والسياسية مرهونة بأمنه، فإن رجل الأمن هو العين الساهرة واليد القوية، والحصن الواقية لهذا الأمن.

هو يد القضاء العادل الحافظ لحقوق الناس، وقوته الفاعلة، وهو يد الحكم الراعي وشوكته وسلطانه يسهر لينام الناس، ويأمنوا على أنفسهم، ودمائهم وأموالهم وأعراضهم.

ورجل الأمن يمثل هيبة السلطة وقوتها. والحكومة في الدولة هي الراعية الحارسة لدين الأمة، وشخصيتها الحضارية وقيمها ومثلها وهي التي تسوس أمور الناس بالعدل وترعى مصالحهم، وأسباب عيشهم، وعمرانهم بالحكمة

ورجل الأمن هو يد الحكم الأمينة المنفذة، وهو للشعب الملجأ والمفزع، والمستغاث، اليه يفزع الناس ، أول ما يفزعون حين يصيبهم ظلم وعدوان.

(*) كلية الشريعة. الجامعة الأردنية. عمان.

وعلى قوته وأمانته، على ما يتحلى به من كفاءة ومقدرة على القيام بمسئولياته، وعلى ما يتحلى به من إيمان وأمانة، وصدق ونزاهة، بمقدار ما يترجم سلوكه عن شخصيته الاسلامية القوية الأمينة العادلة الحازمة، الواعية اليقظة، بمقدار ما يحصل على ثقة الناس وتعاونهم، ويقوم بمهمته خير قيام في حفظ الأمن ورعاية العدل وتطهير المجتمع من الاجرام والمجرمين، والفساد والمفسدين.

ذلك أن من أسباب تقدم المجتمع وازدهاره انتظام الجهاز الاداري في الدولة حتى يؤدي غايته المرجوة من تحقيق العدالة وتوفير الأمن وردع العدوان، وإيتاء كل ذي حق حقه

ولابد - لتحقيق هذا - من أمرين:

١ - قيادة حازمة عادلة، لا تغفل عن اكتشاف نواحي الخلل والتقصير، كما تكتشف نواحي القوة والقيام بالواجب، تكافىء المحسن وتعاقب المسيء.

٢ - جند عاملون أكفاء يقومون بمسئولياتهم بكفاءة وأمانة، يصدق فيهم قوله تعالى ﴿ إن خير من استأجرت القوي الأمينُ ﴾[1]

فهم يجمعون بين العلم وما يتطلبه العمل من خبرة ومهارة فنية وبين الأمانة والخلق والاستقامة والشجاعة والنزاهة التي تحفظ حقوق الناس، وتقاوم أسباب الضغوط النفسية والاجتماعية.

---

١ - سورة القصص. الآية: ٢٦

أما القيادة فلابد أن تتصف بالحزم واليقظة، وقد نبه القرآن الكريم على أهمية صفة الحزم في شخصية القائد، فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله﴾[1]

والآية الكريمة توجه الى حزم القائد وعزمه القائم على الحكمة والعلم والخبرة. فبعد أن ينتفع القائد بآراء ذوي الخبرة، ويدرس القضية درسا وافيا، ويهتدي بعلومهم وخبراتهم وآرائهم فيتخذ قراره بعد ذلك، ويعزم عزمته متوكلا على الله دون ضعف أو تردد.

وبهذا التوازن بين الشورى والحزم يخلص قرار القائد من الهوى والاستبداد والجهل والضعف الناشيء عن نقص الخبرة.

وبعض الناس يخلطون بين الحزم والاستبداد، وهذا خطأ. فالاستبداد القائم على الهوى والتحكم بالرأي والسلطة شيء، والحزم القائم على الشورى والانتفاع بالخبرات والتوكل على الله شيء آخر

والقائد الحازم الذي لا يتخذ قراره الا بعد دراسة وروية، ثم اذا اتخذه لا يتراجع عنه، ولا يضعف عن متابعته، يفرض احترامه وهيبته في نفوس جنده ويبعث القوة والحياة لينهض بالأعباء الملقاة عليه بكفاءة وقوة وأمانة.

ولابد لرجل الأمن حتى ينجح في عمله، ويؤدي رسالته أن يكون قويا حازما، فملاحقة الجريمة والضرب على يد المفسدين تحتاج الى الحزم، ليقوم بالمهمة بجدارة في أقصر وقت.

---

١ ـ سورة آل عمران. الآية: ١٥٦

وملاحقة أهل الفساد وعصابات الباطل، ومتابعتهم، تحتاج الى السرعة والحزم.

وملاحظة فعالية الجهاز وخلوه من الخلل والتقصير والضعف تحتاج الى الحزم.

وقد صوّر لنا القرآن الكريم القائد العادل في سورة النمل، وهو يربي الجماعة الاسلامية لتحمل مسئولياتها المقبلة في قيادة البشرية وهدايتها واقامة مجتمع الايمان والعدل والسلام. قال تعالى في حديثه عن نبي الله سليمان عليه السلام وقيادته الحازمة والعادلة ﴿وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين * لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين * فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين* اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم * وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون * ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون * الله لا إله الا هو رب العرش العظيم * قال سننظرُ أصدقت أم كنت من الكاذبين * اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تولَّ عنهم فانظر ماذا يرجعون﴾[1]

ونقف عند الآيات الكريمة ليتبين لنا مايلي:

١ ـ النظام المحكم الذي اكتشف القائد من خلاله غياب جندي من أمم الطير الكثيرة.

٢ ـ الضبط والربط اللازمان للقيادة الناجحة التي لا تغفل عن غياب جندي واحد وتوليه الأهمية اللازمة.

---

١ ـ سورة النمل. الآيات: ٢٠ ٢٨

٣ ـ الحزم الذي ينجلي باصدار الحكم ﴿لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه﴾

٤ ـ العدل الذي يرافق الحزم ﴿أو ليأتيني بسلطان مبين﴾

والعدل والحزم صفتان لا تفترقان في شخصية القائد المسلم ـ لأن الحزم اذا لم يحصنه العدل كان استبدادا وظلما وطغيانا.

٥ ـ تقدير كفاءة الأجهزة الأمنية ومبادراتها التي تقوم بها لحماية أمن الدولة عن طريق اكتشاف طبيعة الدول المجاورة والبعيدة وقوتها.

فالهدهد في القصة يمثل رجل المخابرات المسلح بالوعي والجرأة والكفاءة في تقديم تقرير عن مملكة سبأ شمل نظامها السياسي والديني والاجتماعي، كما بينت الرسالة الكريمة التي يحملها رجل الأمن والمخابرات في توجيه الأنظار الى وجوب اخراج هؤلاء القوم من عبادة غير الله الى عبادة الله وحده. وكيف أتت هذه الأجهزة ثمراتها الطيبة في هداية سبأ واسلامها لله رب العالمين.

٦ ـ التثبت واليقين في نقل الخبر وتقديم التقارير الصادقة

وقد نبه القرآن الكريم على أهمية التثبت واليقين في نقل الخبر، لحفظ أمن الجماعة ومنع الظلم والعدوان.

فقد بدأ الهدهد ناقل الخبر تقديم تقريره بقوله ﴿أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾ وفي سورة الحجرات ﴿ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[1]

---

١ سورة الحجرات. الآية: ٦

وبمقدار اتصاف العاملين في هذه الأجهزة بالكفاءة الخلقية والعلمية والوعي. تعطي ثمراتها الطيبة حفظا للأمن. وقمعا للجريمة وخيرا على البلاد والعباد.

وفي تاريخ الحضارة الاسلامية صور كريمة لحزم القائد وأثره في تحقيق أمن المجتمع والمحافظة على رسالته وشخصيته الحضارية نذكر منها:

١ ـ أبوبكر القائد الحازم العادل:

ومن منا لا يذكر حزم أبي بكر رضي الله عنه في النهوض لقتال المرتدين الثائرين بعد التحاق رسول الله (ﷺ) بالرفيق الأعلى. حيث تردد الصحابة وفيهم عمر رضي الله عنهم في قتال المرتدين خوفا من فتنة أكبر ولكنه رأي رضي الله عنه بثاقب نظره. وبعد همته. ان أمن البلد وسيادة الدولة وسيادة مبادئها التي قامت عليها ليست موضع مساومة، فأعلن قراره الحازم الحاكم، «أيها الناس والله لو أفردت من بينكم جميعا لقاتلتهم وحدي، ولو علمت أن السباع تجرني من رجلي» وكان من ثمرة موقفه الحازم هذا أمن الجزيرة وسيادة الدولة الاسلامية فيها، والقضاء على الفتنه بأقصر وقت، وفتح الطريق للفتوحات الاسلامية التي حررت أرض الاسلام من حكم كسرى وقيصر في بلاد العراق وما وراء النهر وبلاد الشام ومصر والمغرب العربي الكبير.

٢ ـ سياسة الحجاج الأمنية:

ومما يحسن ذكره هنا ما كتبه الحجاج عن سياسته الأمنية في رسالة أرسلها الى الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك جاء فيها:

(إني أيقظت رأيي، وأنمت هواي، فأدنيت السيد المطاع في قومه، ووليت الحرب «الشجاع الشديد»، الحازم في أمره، وقلدت الخراج الموفر لأمانته، وقسمت لكل خصم من نفسي قسما أعطيه حظا من تكليف عنايتي ونظري، وصرفت السيف الى النطف المسيء (المتهم بريبة) والثواب الى المحسن البريء، فخاف المريب صولة العقاب، وتمسك المحسن بحظه من الثواب).

المبادىء المستخلصة من هذه الرسالة:

وإذا عرف الحجاج في تاريخنا الاسلامي بظلمه وعسفه إلا انه في هذه الرسالة يضع أمامنا حصيلة خبرة عميقة وتجربة واسعة وأسسا قوية لحفظ الأمن وسيادة القانون في المجتمع منها:

١ ـ يقظة رجل الأمن وعدم غفلته من كل ما يهدد سلامة المجتمع وأمنه، ليتمكن من تطويق الأمر قبل حدوثه، أو استفحاله وانتشاره:

٢ ـ كفاءة الأجهزة العلمية والفنية القادرة على التحليل والاكتشاف والمراقبة والمتابعة دون ضعف أو تقصير.

٣ ـ تحرر رجل الأمن من الهوى والضغوط الشخصية التي قد تعميه عن رؤية الحقيقة، أو تفقده الصلابة والحزم في مقاومة الفساد أو كشفه

٤ ـ وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، فللحرب الشجاع الشديد، وللمال الكفء الأمين.

٥ ـ توزيع العمل على الأجهزة المتخصصة المرتبطة بقيادتها فلكل جهة تهدد أمن الدولة جهازها الخاص يقوم بمسئولياته في دراستها والتنبيه على أخطارها، وهذا ما يفيده قوله (وقسمت لكل خصم

س نفسي قسما أعطيه حظا من تكليف عنايتي ونظري) ثم يقوم القائد الناجح بإعطاء كل جهاز حظه من الرعاية ودراسة تقاريره ومناقشتها للوصول الى القرار الأخير وليتحقق مبدأ التعاون بين الأجهزة دون أن يطغى عمل على عمل، أو يهمل جانباً ويرعى جانباً آخر، وقديما قالوا: من مأمنه يؤتى الحذر

٦ ـ الضرب بيد من حديد على أيدي المفسدين والمخلين بأمن البلاد، وتقدير المحسنين المحافظين على أمن البلد العاملين على تقدمه وربط الحكم بالشعب عن طريق تقريب القيادات الشعبية والصالحين من الناس وحسن الصلة بهم، ليجد المحسن ثواب احسانه، والمسيء نتيجة عمله، ولتجد الكفاءات والفعاليات العلمية والاقتصادية والفنية رعاية الحكم لها، وتوفير الجو المناسب لعطائها، وابداعها وتقديمها الخدمات للناس، كما يجد المخلون بأمن البلد المحتالون على القانون، الساعون في الأرض فسادا، عيناً يقظة ساهرة، وعقوبة رادعة زاجرة.

٣ ـ صلاح الدين الأيوبي رجل الأمن في دمشق:

ويذكر لنا المؤرخون للدولة الأيوبية من سيرة صلاح الدين الأيوبي رضي الله عنه أن نور الدين قلده إمارة الشرطة في دمشق، وكان عدله وحزمه، من أسباب حب الناس له واعجابهم بقيادته وبعد وفاة نور الدين رضي الله عنه، بايع أهل الشام صلاح الدين بدون كبير عناء. ذاكرين صدقه، وعدله، وحزمه، وحسن مطاردته للجريمة، يوم كان مديرا للشرطة في دمشق.

وقد وصفه أحد الشعراء بقوله:

ويوسف قطع أيدي النساء ويوسف قطع أيدي العتاه

مقارنا بين يوسف النبي الذي أقام الدين بعفته ونزاهته

وعصمته، ويوسف صلاح الدين الذي أقام العدل بحكومته وولايته.

رجل الأمن في خدمة الشعب:

واذا كان الحزم والعدل واليقظة أسسا لابد من توافرها في الأجهزة الأمنية الساهرة على أمن البلد ورعايته، فإن الصورة الأخرى لتعامل رجل الأمن مع الناس تتطلب منه ان يتحلى بقيم الصدق والتقدير لكرامة المواطن وعدم الاستخفاف به، ومد يد العون والنصرة للضعيف، والمظلوم، غنيا كان أو فقيرا، وجيها أو محروما

ويحسن في هذا المجال أن نذكر ما يلي:

أن يُذكرّ رجل الأمن دائما أن الدولة في خدمة الشعب، وأن كل عامل فيها هو أجير للشعب، مراقب س الله عز وجل.

دخل أبو حازم على معاوية وحوله كبار رجال الحكم فقال له: السلام عليك أيها الأجير فعجب الحاضرون وقالوا: إنما هو أمير المؤمنين، فكرر نداءه وقال: السلام عليك أيها الأجير، فعادوا ينبهونه الى أنه أمير المؤمنين، فقال لهم: بل هو الأجير، ثم التفت الى معاوية وقال: إعلم يامعاوية إنك اجير لهذه الأمة، استأجرك ربك لرعايتها، فان أنت أحسنت الرعاية، وفاك ربك أجرك، وان انت أسأتها عاقبك وشدد عقوبتك.

وهكذا فقه المجتمع الاسلامي الوظيفة خدمة للشعب لا استعلاء عليه

ومن كلمات أبي بكر رضي الله عنه «اني وليت عليكم ولست بخيركم».

وكان عمر يقول «إنما أنا واحد منكم، ولكني أكثركم مسئولية وواجبات».

وبهذه القيم والأخلاق الاجتماعية التي يتحلى بها رجل الدولة والحكم والأمن، تقوم قوة الدولة وسلطانها وتكتسب الدولة ثقة الشعب جندا وراء جند يحمون أمن البلد، ويتعاونون مع رجال الأمن وهم يعلمون أن رسالتهم واحدة، وأن رجال الأمس منهم واليهم.

ان رجل الأمن حين يملكه هذا الخلق الكريم وهذا الشعور الصادق أنه في خدمة الشعب لتوفير أمنه، وحماية حياته، وحفظ كرامته، وماله وعرضه، وحقه، يملك قلوب الناس ومحبتهم.

أما اذا نسي رجل الأمن هذا الخلق، ورأى لنفسه مكانة فوق الناس، وجفا عنهم بخلقه، وطغى بمعاملته، وقسوته، وأصبح في عيون الناس سوط عذاب، وأداة نقمة وظلم وتنكيل، عزل الحكم عن الشعب، والقاعدة عن القيادة، وتحول المجتمع الى أسباب ضعفه وتآكله من الداخل، وفتح النوافذ والأبواب لأعداء الأمة، والشعب، أن ينقدوا، ويستغلوا، ويمكروا، ويتآمروا، مما يهدر قوة الأمة الأمنية والاقتصادية والاجتماعية، ويقطع أوصالها.

وقد حذر القرآن الكريم من هذا التقاطع كما حذر ان يقطع الولاة والحكام ما بينهم وبين الناس بقوله: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعّوا أرحامكم، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾.

وما يستبد الحاكم ويقطع ما بينه وبين الناس الا اذا كان من الذين لعنهم الحق فأصمهم وأعمى أبصارهم ففقد العين المبصرة،

والأذن الصاغية المطلعة على هموم الناس ومشكلاتهم، السامعة لقضاياهم وشكاواهم، العاملة على ازالة الظلم، واخفاق العدل واشاعة السلام.

واذا كان رجل الأمن هو عين الحكم وسمعه فمسئوليته كبيرة أن يكون العين الساهرة اليقظة، والأذن المتفتحة الواعية، ليقي المجتمع من أسباب هلاكه ولعنته، وفساده، ويوفر له أسباب أمنه وطمأنينته وسعادته.

وصية سالم بن عبدالله لعمر بن عبدالعزيز:

ومن خير الوصايا التي يحسن برجل الأمن أن يضعها نصب عينيه وصية سالم بن عبدالله لعمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة وأمور الناس:

«اجعل الناس، أبا، وأخا، وإبنا، فبر أباك، واحفظ أخاك، وارحم ابنك».

وجدير برجل الأمن أن يرى في الناس أباه وأخاه، وابنه، ليروا فيه الابن والأخ، والوالد، فتتصل القاعدة بالقيادة بأوثق الأسباب، ويتماسك المجتمع ويقوى في ظل الأمن والثقة والعدالة ويتصل بأسباب تقدمه الاجتماعي والاقتصادي والعلمي والعمراني، والعسكري، ويتحول الى جنة من رخاء. وواحة من سلام.

حين كان القرآن الكريم يتنزل على قلب النبي المصطفى (ﷺ) كان يعد الجماعة المسلمة لتحمل مسئولياتها في نشر الأمن والسلام وتطهير المجتمع من الجريمة والفساد والمفسدين، قال تعالى: ﴿ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير * قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله

من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم﴾[1]

كان يعد القائد. ويعد الجندي ويعد الأمة

وقد رأيت عرض هذه القيم من جانبين:

الجانب الأول: يتعلق باقامة العدل وحفظ الأمن ومطاردة الجريمة.

الجانب الثاني: يتعلق باصلاح الفرد والجماعة.

الجانب الأول: إقامة العدل وحفظ الأمن ومطاردة الجريمة:

وفي ظل هذا الجانب يمكن أن نعرض القيم التالية:

١ ـ التثبت من الخبر وتحري صدقه

قال تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[2]

على رجل الأمن مهمة عظيمة في تمحيص الوقائع، ونقل الصورة الحقيقية التي تعين القاضي على الحكم والعدل.

فرجل الأمن هو عين القضاء المبصرة، فاذا غفلت هذه العين أو تغافلت، وأعطت جزءا من الصورة أو الواقعة وتركت جزءا ضللت القضاء، وضاع الحق، وفزع الناس.

٢ ـ أداء الشهادة الصادقة:

ولهذا كان للشهادة التي يدلي بها رجل الأمن بحكم عمله واطلاعه على وقائع الجريمة أو سماعه لإفادات المتهمين أو الشهود أثر كبير في تحقيق العدالة ورفع الظلم واكتشاف الجريمة وردع المجرمين.

---

١ ـ سورة المائدة. الآيتان: ١٥، ١٦

٢ سورة الحجرات. الآية: ٦

وقد أمر الله من يؤدي هذه الشهادة بأمور:

أ ـ القيام بالعدل ونصرته

ب ـ أداء الشهادة لله من غير زيادة أو نقص.

جـ ـ التجرد من الهوى وسلطان العاطفة

د ـ عدم الامتناع عن أداء الشهادة.

وهي أمور مطلوبة من رجال الأمن عامة، ورجال التحقيق خاصة.

قال تعالى:

﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا، وان تلوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾[1]

وفي سورة المائدة: ﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون﴾[2]

والمتدبر للآيتين الكريمتين، يجد أن كلمتي قوامين وشهداء تعلق بهما لفظ الجلالة مرة، ولفظ القسط مرة اخرى، إشارة الى ارتباط العدل بالايمان، وارتباط الايمان بالعدل.

قال صاحب الكشاف «قوامين بالقسط» أي مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا «شهداء لله» تقيمون شهاداتكم لوجه الله

---

١ ـ سورة النساء الآية ١٣٥

٢ سورة المائدة الآية ٨.

كما أمرتم باقامتها «ولو على أنفسكم» ولو كانت الشهادة على أنفسكم أو على آبائكم أو أقاربكم[1]

والآية الكريمة تحذر من وقوع أهل الشهادة تحت تأثير الضغوط النفسية والاجتماعية التي من شأنها أن تحول بين المرء والادلاء بشهادته كما أمر الله، فوضحت الآية أن مصلحة الجماعة أولى من المصالح الفردية.

إن اقامة العدل واشاعة الأمن في المجتمع وما ينشأ عنه من بركات ونماء وازدهار اقتصادي يعم جميع طبقات الأمة، هو خير من مراعاة المصلحة الفردية الصغيرة لقريب أ و فقير تأخذه عدالة القضاء وشهادة الحق

ان هذه الآية الكريمة توضح قبساً من التربية السياسية والاجتماعية لأبناء الأمة، والقانون الذي يدبر شؤونها وتحرره من القيم الجاهلية القائمة على نصرة القريب والصديق ظالماً أو مظلوماً

والقيم الايمانية التي ترعى العدل مع القريب والغريب والصديق العدو، تجعل الأمة أمة واحدة متماسكة متآزرة، السلطان فيها للقانون والنظام، والرعاية لحكم الشرع قبل حكم النفس والهوى وحكم العشيرة والطائفة.

وفي الصورة المقابلة نجد القيم الجاهلية كيف تحوّل المجتمع الى ولاءات فردية تقطع وحدته وتمزق ولاءه وانتماءه وتفسد روابطه، وتهدد كيانه وقوته

---

١ ـ الكشاف. الزمخشري. الجزء الأول. ص: ٥٧٥.

القدوة الحسنة:

ورجل الأمن بممارسته السلوكية وقيامه بمسئوليته يكون قدوة حسنة اذا رعى الحق والعدل وتحرر من هذه الضغوط الاجتماعية، شعاره كلمة الخليفة الراشد «القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه، والضعيف قوي عندي حتى آخذ الحق له».

تحمل المسئولية بقوة وحزم:

وتحذر الآية الكريمة من سلطان الهوى وتأثيره على الشاهد، أو المحقق الشاهد لتغيير وقائع التحقيق أو اخفاء بعض المعلومات ذات التأثير على تحقيق العدالة، كما تحذره من التأخر والتباطؤ عن سرعة ملاحقة المتهم أو الجريمة ليتصل بوقائعها وبيّناتها قبل أن تمسها يد التزوير والتضليل والاخفاء.

وهذا ما ينبه اليه قوله تعالى: ﴿فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا، وإن تلوا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً﴾[1]

قال صاحب الكشاف: «أن تعدلوا» يحتمل العدل والعدول، كأنه قيل لا تتبعوا الهوى كراهة أن تعدلوا بين الناس، أو ارادة ان تعدلوا عن الحق، «وان تلوا أو تعرضوا» وان تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق، أو حكومة العدل، أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها» فان الله مطلع على أعمالكم مجازيكم بها.

قراءة أخرى للآية تشمل الولاة على الشهادة والقائمين على رعايتها:

ذكر الزمخشري[2] قراءة أخرى للآية: ﴿وإن تلوُا أو تعرضوا﴾.

---

١ ـ سورة النساء. الآية: ١٣٥

٢ الكشاف ١/٥٧٥.

بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة أو أعرضتم عن اقامتها، فان الله كان بما تعملون خبيراً» وبمجازاتكم عليه[1]

وفي هذه القراءة خطاب لأهل الولاية من القضاة ورجال الأمن الذين يتولون أمور التحقيق واستجواب المتهمين وتدوين شهاداتهم وأقوالهم ودعاواهم، أن يقوموا بهذه الولاية بأمانة، ولا يكتمون شيئاً، ولا يحرفون، ولا يذكرون شيئاً ويطمسون شيئاً ولا يعرضون أو يتهاونون أو يتغافلون.

مسئولية رجل الأمن:

ورجل الأمن مسئول ـ وهو على ثغرة عظيمة، كبرت مسئوليته أو صغرت، وتعظم مسئولية الانسان بعظم آثارها على حياة الناس وأعراضهم ودمائهم وأموالهم، فاذا أحسن القيام بها عظم ثوابه، وان قصر عظم اثمه وعذابه وفي ضوء هذه المسئولية وخطرها نفقه أحاديث رسول الله (ﷺ) وما أعد الله من ثواب للمحسنين من الولاة وما أعدَّه من عذاب للمقصرين والظالمين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «ما من أمير عشرة الا يؤتى به يوم القيامة مغلولا لا يفكه إلا العدل»[2]

واذا لم تكن السلطة في خدمة الشعب ورعاية أمنه واقامة العدل بين الناس كانت هذه السلطة تسلطا وبغيا وظلما، وألقت صاحبها في الهلكات والعذاب.

---

١ ـ المصدر السابق.

٢ ـ رواه أحمد ـ الترغيب والترهيب ٣/١٧٤

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ «عرض علي أول ثلاثة يدخلون النار: أمير مسلط وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله، وفقير فخور»[1]

وفي الحديث تنبيه على الفساد السياسي والاجتماعي الذي جمع بين ظلم الأمراء بالجور وظلم الأغنياء بالبخل، وظلم الفقراء بالفخر الكاذب.

وكلهم مستكبرون تحكمهم الجاهلية، ظالمون لأنفسهم، وظالمون لغيرهم.

وقد ورد مثل هذا التنبيه في حديث آخر حذر فيه رسول الله (ﷺ) من فساد السلطة السياسية بالاجتراء على ظلم الناس، والتنكيل بهم، والفساد الاجتماعي والأخلاقي الذي ينشأ عن عدم رعاية المرأة للأخلاق الأسلامية في سترها وعفتها.

قال رسول الله (ﷺ) صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت (المائلة) لايدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وان ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا[2]

ورد في تفسير كاسيات عاريات: أنهن كاسيات من نعم الله عز وجل، عاريات من شكره، وقيل يلبس ثيابا رقاقا تصف ما تحتها، فهن كاسيات في ظاهر الأمر، عاريات في الحقيقة

---

١ ـ رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحه، الترغيب والترهيب ١٧٤/٣

٢ أخرجه مسلم رقم ٢١٢٨ في الجنة باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

وفي التحذير من استغلال السلطة للتسلط والظلم وقهر الناس واذلالهم يقول رسول الله (ﷺ) يوشك أن طالت بك مدة ان ترى قوما في أيديهم مثل أذناب البقر يغدون في غضب الله ويروحون في سخط الله[1]

المسئولية رعاية وتوجيه وحزم:

ويضع رسول الله (ﷺ) لأصحاب المسئوليات معالم هادية وآدابا كريمة تعينهم على أداء رسالتهم، وتمكن لهم في قلوب الناس أسباب المحبة والثقة والتعاون.

وأول هذه الآداب أن المسئولية رعاية ونصح وتوجيه، فليس هم رجل الأمن أن يخطىء الناس حتى يعاقبوا، وانما همه تبصيرهم معاقبة الخطأ حتى لا يقعوا فيه، ويحذرهم من أسباب الجريمة حتى لا يرتكبوها.

عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «مامن عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله تعالى عليه الجنة».
وفي رواية: فلم يحطها بنصحه لم ير رائحة الجنة[2].

وعنه أيضا رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «مامن أمير يلي أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم، وينصح لهم، الا لم يدخل معهم الجنة[3].

---

١ أخرجه مسلم رقم ٢٨٥٧ في الجنة: باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.
٢ - رواه البخاري ومسلم.
٣ - رواه مسلم والطبراني.

رجل الأمن وصلته بالناس:

ومسئولية رجل الأمن تفرض عليه الا يحتجب عن الناس وان يكون دوما عند سمعهم وبصرهم، يجيب استغاثتهم، ويسمع شكواهم، ويبصر همومهم، ويطلع على معاناتهم، فهو أُذن خير، وعين رحمة، ويد أمانة، ترى فيهم الدولة قضايا الناس، ويرى الناس بهم رعاية الدولة واستقامتها وحرصها عليهم.

ولهذا كان هذا النذير من رسول الله (ﷺ) لمن ولاه الله مثل هذه المسئولية فاحتجب عن الناس.

عن ابن مريم عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه أنه قال لمعاوية: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم، وفقرهم احتجب الله دون حاجته، وفقره يوم القيامة، فجعل معاوية رجلا على حوائج المسلمين»[1].

ويؤكد هذا المعنى أحاديث اخرى لرسول الله (ﷺ) منها:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «قال رسول الله (ﷺ) من ولي من أمر الناس شيئا، فاحتجب عن أولي الضعف والحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة»[2]

وعن أبي السماح الأزدي عن ابن عم له من أصحاب النبي (ﷺ) أنه أتى معاوية فدخل عليه، فقال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «من ولي من أمر المسلمين، ثم أغلق بابه دون المسكين

---

١ ـ رواه أبو داود واللفظ له والترمذي، الترغيب والترهيب ١٧٧/٣

٢ ـ رواه أحمد باسناد جيد والطبراي وغيره، الترغيب والترهيب ١٧٨/٣

والمظلوم، وذوي الحاجة أغلق الله تبارك وتعالى أبواب رحمته وفقره أفقر ما يكون اليها[1].

منهج الاسلام في حماية هذه الحقوق:

يسلك الاسلام في حماية حقوق الناس ورعاية الأمس الخطوات التالية:

١ ـ حسن اختيار رجل الأمن:

ان المسئوليات العظيمة المناطة برجل الأمن، وان التطور العلمي والتقني في حضارتنا المعاصرة تفرض على أصحاب القرار أن يولوا اختيار رجال الأمن أهمية كبرى ليكونوا على مستوى المهمة والمسئولية الملقاة عليهم، مراعين في اختيارهم الكفاءة العلمية والفنية، والكفاءة الايمانية الأخلاقية، وهذا ما نبه عليه رسول الله (ﷺ).

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله ألا تستعملني؟ قال: «فضرب بيده على منكبي، ثم قال: ياأبا ذر، انك ضعيف وانها أمانة، وانها يوم القيامة خزي وندامة، الاَّ من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها[2]

وفي هؤلاء الذين يتحملون المسئولية وهم غير قادرين عليها يقول رسول الله (ﷺ) «ويل للأمراء ويل للعرفاء، ويل للأمناء»[3]

---

١ ـ رواه أحمد وأبو يعلى واسناد أحمد حسن، الترغيب والترهيب ١٧٨/٣

٢ ـ رواه مسلم، الترغيب والترهيب ١٦٠/٣

٣ ـ رواه ابن حبان والحاكم، الترغيب والترهيب ١٦١/٣

أي الذين يؤتمنون على حياة الناس ودمائهم وأموالهم وأعراضهم، ولا يقومون بها. فالسلطة بيد رجل الأمن اذا لم يحصنها بتقوى الله وخوف حسابه قد تؤدي به الى الظلم والطغيان، وقد تؤدي بصاحبها الى الانحراف، واستغلال الوظيفة لمصالحه الشخصية حيث يكون هو الرقيب والحامي للقانون والنظام.

ويحذر الرسول (ﷺ) أصحاب القرار ان يختاروا للولاية على الناس الضعيف ويتركوا القوي.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (ﷺ) «من استعمل رجلا من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»[1]

وفي حديث آخر: عن يزيد بن أبي سفيان قال: قال لي أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين بعثني الى الشام: «يايزيد إن لك قرابة عسيت ان تؤثرهم بالامارة، وذلك خوف ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله (ﷺ): «من ولي من أمر المسلمين شيئا، فأمر عليهم أحدا محاباة، فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا، أي فرضا ولا نفلا، حتى يدخله جهنم»[2].

٢ ـ التحذير من الضغوط التي تعبث بحقوق الناس:

ومنها الرشوة، والهدايا التي تقدم لاضاعة الحق:

قال تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾[3]

---

١ ـ رواه الحاكم، الترغيب والترهيب ٣/١٧٩

٢ ـ رواه الحاكم وأحمد، المرجع السابق ٣/ ١٧٩

٣ ـ سورة البقرة. الآية: ١٨٨

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله (ﷺ) الراشي والمرتشي»[1].

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله (ﷺ) الراشي والمرتشي والرائش» يعني الذي يمشي بينهما[2]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «الرشوة في الحكم كفر وهي بين الناس سحت»[3]

٣ ـ الترهيب من الظلم والتحذير من دعوة المظلوم:

وأخطر ما يهدد العدالة ويضيع الحقوق، أن يكون صاحب الحق ضعيفا وأن يكون خصمه من أصحاب الجاه والكلمة والسلطان.

وهنا تجد ثمرة الايمان الحق حين يحص صاحبه من هذه الضغوط ويصنع لهذا المظلوم قوة تتصل بحماية الله ورعايته لحقه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول عليه الصلاة والسلام بعث معاذا الى اليمن فقال: «اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب»[4]

٤ ـ تحويل ولاء العشيرة ونصرتها الى نصرة الحق وردع الظالم:

كان العرب يتناصرون بالعصبية القبلية الجاهلية شعارهم قول شاعرهم:

وما أنا إلّا من غَزيَّة إنْ غوَتْ غَوَيتُ وإن ترشد غَزِيةُ أرشُد

---

١ ـ رواه أبو داود والترمذي.

٢ ـ رواه أحمد.

٣ ـ رواه الطبراني موقوفا باسناد صحيح، الترغيب والترهيب ١٨١/٣

٤ ـ رواه البخاري ومسلم.

فجاء الاسلام ليرشد الناس الى ماهو أعظم وأكرم وأقوم وهو نصرة الحق، فحين تنصره، تكون قد نصرت المصلحة العليا للجماعة التي يأمن بها القريب والبعيد، والغريب والصديق، ولئن فاتت قريبك مصلحة قرابة في حق قام عليه فان خيرا كثيرا ومصالح أعظم تعود عليه وعلى الناس في ظل العدل والأمن. وهذا المعنى يوضحه حديث النبي الكريم.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقال رجل: يارسول الله أنصره اذا كان مظلوما، أفرأيت إن كان ظالما كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه عن الظلم، فان ذلك نصره[1].

وهنا يتبين لنا مكانة رجل الأمن في المجتمع وأنه حين يمنع الظالم عن الظلم، فقد أخذ بيده الى شاطىء السلامة والأمان، وكان ناصرا له حين أنقذه من أسباب هلكته وفتنته في الدنيا والآخرة، ووفق بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع.

التربية الايمانية وأثرها في حماية المجتمع وأمنه:

والدارس لكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) يجد الآيات الكثيرة والأحاديث تتضافر على تربية المسلم تربية ايمانية تنصر الحق وتكره الظلم، وتعافه حتى يكون المسلم مع الحق في بيته وتجارته ومسئولياته كلها، أبا كان أو معلما أو قائدا، أو جنديا.

---

١ - رواه البخاري ومسلم.

ولنقف عند بعض الآيات والأحاديث في هذا الباب:

قال تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار * مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾[1]

وفي الحديث القدسي عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) فيما يروى عن ربه عز وجل أنه قال: «ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا»[2]

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: «اتقوا الظلم، فان الظلم ظلمات يوم القيامة»[3]

كلمة خالدة:

وتجلى لنا بعض هذه القيم الايمانية التي يتحلى بها الولاة وفي مقدمتهم رجال الأمن كلمة رائعة وصف بها الامام الحسن البصري ـ رضي الله عنه ـ الامام العادل لسيدنا عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه فقال[4] رحمه الله:

اعلم ياأمير المؤمنين أن الله جعل الامام العادل قوام كل مائل وقصد[5] كل جائر وصلاح كل فاسد. وقوة كل ضعيف، ونصفة[6]

---

١ ـ سورة ابراهيم. الآيتان: ٤٢، ٤٣.

٢ ـ رواه مسلم.

٣ ـ رواه مسلم وغيره.

٤ ـ الترغيب والترهيب ١٨٢/٣

٥ ـ هداية وارشاد.

٦ ـ اغاثة وانصاف.

كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف، والامام العدل ياأمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المرعى، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع ويكنفها من أذى الحر والقر[1] والامام العدل ياأمير المؤمنين كالأب الحفي على ولده يسعى لهم ويعلمهم كبارا، يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته، والامام العادل ياأمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة حملته كرها ووضعته كرها، وربته طفلا، تسهر بسهره وتسكن بسكونه، ترضعه تارة، وتفطمه أخرى وتفرح بعاقبته وتغتم بشاكلته، والامام العدل ياأمير المؤمنين وصي اليتامى: وخازن المساكين يربي صغيرهم، ويمون كبيرهم، والامام العادل ياأمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح تصلح الجوانح بصلاحه، وتفسد بفساده، والامام العدل ياأمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر الى الله ويراهم، وينقاد الى الله ويقودهم، فلا تكن ياأمير المؤمنين فيما ملك الله كعبد ائتمنه سيده، واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال، وشرد العيال، فأفقر أهله وفرق ماله، واعلم ياأمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف اذا أتاها من يليها!؟ وان الله جعل القصاص حياة لعباده.

فكيف اذا قتلهم من يقتص لهم؟؟ واذكر ياأمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلة أشيائك عنده، وانصارك عليه، فتزود له، ولما بعده من الفزع الأكبر. واعلم ياأمير المؤمنين أن لك منزلا غير منزلك الذي انت فيه، يطول فيه رقادك، ويفارقك أحباؤك، يسلمونك في قعره فريدا وحيدا، فتزود له ما يصحبك ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾ واذكر ياأمير المؤمنين (اذا بعثر ما في القبور

---

١ ـ البرد.

وحصل ما في الصدور) فالاسرار ظاهرة والكتاب ﴿لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها﴾ فالآن ياأمير المؤمنين وأنت في مهل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل لا تحكم ياأمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين، فانهم لا يرقبون في مؤمن الّا[1] ولا ذمة فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات في دنياهم باذهاب طيباتك في آخرتك لا تنظر الى قدرتك اليوم، ولكن انظر الى قدرتك غدا وأنت مأسور في حبائل الموت، وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين وقد عنت[2] الوجوه للحي القيوم، اني ياأمير المؤمنين وان لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النهي[3] من قبل فلم آلك[4] شفقة ونصحا فانزل كتابي عليك كمداوي حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته[5]

بين الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة:

ورجل الأمن يتعرض لضغوط كثيرة بحكم عمله.
وهو بين شفاعة حسنة تعين على الحق وشفاعة سيئة تنصر الباطل.
واذا كان من شأن المؤسسات أن تحمي رجالها المنتسبين اليها، وهم

---

١ ـ عهدا
٢ خضعت وذلت.
٣ اصحاب العقول
٤ لم أقصر
٥ ـ الترغيب والترهيب. على هامش. جـ ٣. ص: ١٨٢ منقولا عن العقد الفريد.

يرعون النظام ويطبقون القانون، فان من ثمرات التربية الايمانية ايضاأن تعطي صاحبها القوة والمقاومة في وجه هذه الضغوط ليثبت مع الحق ويرعاه، ويدحض الباطل ويزهقه.

قال تعالى: ﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا﴾[1]

وقال رسول الله (ﷺ) «من حالت شفاعته دون حد من حدود الله عز وجل، فقد ضاد الله عز وجل، ومن خاصم في باطل وهو يعلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ماليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال وردغة الخبال هي عصارة أهل النار»[2]

والتربية الايمانية تعطي صاحبها القوة ليتحرر من سلطان المديح الكاذب، وارضاء الناس على حساب الدين والفضيلة

عن رجل من أهل المدينة قال: كتب معاوية الى عائشة رضي الله عنها ان اكتبي لي كتابا توصيني فيه ولا تكثري علي، فكتبت عائشة الى معاوية سلام عليك، اما بعد: فاني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس، والسلام عليك[3].

---

١ ـ سورة النساء. الآية: ٨٥.

٢ رواه مسلم.

٣ ـ رواه الترمذي.

رجل الأمن وأعوانه الصالحون:

واذ كان رجل الأمن عين السلطة ويدها، فان هذه العين لا يتأتى لها ان تحيط بمسؤوليتها لتكون رؤيتها محيطة شاملة، الا اذا كسب صاحبها ثقة الناس وتعاون مع الشرفاء منهم، الذين يؤمنون بأن أمن البلد عبادة يتقرب بها الى الله، وان الاخلال بالأمن جريمة ومعصية واثم كبير

وكلما نجح رجال الأمن في تعميق هذا المعنى في نفوس الناس عن طريق السلوك الحميد، والخلق الكريم، والممارسات النظيفة الشريفة كانت ثقة الناس بهم أكبر وتعاونهم أعظم، ووجدت معهم حولهم من الأعوان الأتقياء المخلصين الذي يعينونهم على تحمل المسئولية والقيام بواجبهم.

وقد نبه القرآن الكريم الى أمرين:

أولهما: ﴿المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[1]

ثانيهما: ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾[2]

فمن شأن أهل الايمان أن يتعاونوا على حفظ الأمن في مجتمعهم وتطهيره من الظلم والمنكرات قال تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾[3]

---

١ ـ سورة التوبة. الآية: ٧١

٢ ـ سورة الأنعام. الآية: ١٢٩

٣ سورة الأنعام. الآية: ٨٢.

ومن شأن أهل الفساد أن يتعاونوا على باطلهم وفسادهم، ﴿والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون﴾[1]

وقد وردت الأحاديث عن رسول الله (ﷺ) التي تأمر أصحاب الولايات باتخاذ البطانة الصالحة والأعوان الخيرين. منها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (ﷺ) اذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره، وان ذكر أعانه، واذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره، وان ذكر لم يعنه[2].

ومن الجدير بالذكر هنا أن كلمة وزير ليست قاصرة في معناها على المنصب السياسي المصطلح عليه في الحكومات المعاصرة، وانما يشمل في دلالته اللغوية المعين والعضد والمساعد القوي لصاحبه، وفي دعاء موسى عليه السلام، اجعل لي وزيرا من أهلي، ولم يكن موسى عليه السلام أميرا أو ملكا ولم يكن هارون ذا مسئولية سياسية في عرف هذا الزمان.

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال: «مابعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان: بطانة تأمر بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمر بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله[3].

١ - سورة التوبة الآية: ٦٧

٢ - رواه أبو داود.

٣ - رواه البخاري.

واذا كان من سياسة الأجهزة الأمنية في مجتمعاتنا أن تدعم مؤسساتها بالكفاءات العلمية والفنية وان تستعين بأصناف شتى من الناس تقتضي الاستعانة بهم طبيعة عملها، فان رجال الأمن الناجحين هم الذين يحكمون الصلة دوما بينهم وبين القوى الصالحة النظيفة في المجتمع المنتمية بصدق لوجوده ودينه وحضارته، ليكون كل مواطن شريف خفيرا في الثغرة التي يقف عليها وليكون المجتمع كله جيشا وراء الجيش ورجال أمنه يشاركون في حفظ أمنه وقوته في الجبهة الداخلية كما يشاركون في حفظ كرامته والدفاع عن حرماته في جبهته الخارجية

اصلاح الفرد والمجتمع:

يتحمل رجل الأمن مسئولية كبيرة في الاصلاح بين الناس واطفاء نار العداوة، وازالة أسباب الخصومة حتى لا تمتد آثارها، وتشتعل احقادها. ورجل الأمن قادر على تطويق الخصومة من البداية بحزمه وحكمته، حين يسمع من الأطراف المتنازعة، ثم يبين لكل منهم وجه تقصيره وخطئه، ويفتح لهم باب الصلح والتسامح، قبل أن يتطور الأمر، ويتسع.

ولكل قضية خصوصياتها وما كل قضية تصلح للانهاء القريب السريع وما كل قضية يحسن ان تمتد وتتحول للقضاء.

ولكل بيئة خصائصها ومشكلاتها فلأهل البداوة مشكلاتهم، وكذلك لأهل الفلاحة والزراعة، وللمجتمعات القبلية والعشائرية، ولأهل المدينة وللعمال، وأصحاب الصناعات، وكلما اتسعت ثقافة رجل الأمن وخبرته كان أقدر على الاصلاح.

وحسن صلة رجل الأمن بالقيادات الفكرية والاجتماعية والنقابية في البلد قد تساعده على فهم الواقع وانهاء الخصومات، واحلال الصلح والسلام بين المتخاصمين.

ولرجل الأمن في هذا الاصلاح قيود وضوابط حتى لا يتم الصلح على حساب العدل والمجتمع وأمنه واستقراره.

وقد ورد الأمر بالاصلاح بين الناس في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. قال تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف، أو اصلاح بين الناس، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما﴾[1] قال تعالى: ﴿انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾[2].

وقد نبه القرآن الكريم على الاستعانة بأصحاب الرأي والحكمة في انهاء الخصومات بالعدل بقوله تعالى: ﴿وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا﴾[3]

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا بلى قال: اصلاح ذات البين، فان فساد ذات البين هي الحالقة»، وفي رواية «لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين»[4].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال؛ قال رسول الله (ﷺ) «أفضل الصدقة اصلاح ذات البين»[5].

١ ـ سورة النساء الآية: ١١٤
٢ سورة الحجرات. الآية: ١٠
٣ ـ سورة النساء الآية: ٣٥
٤ ـ رواه أبو داود.
٥ رواه الطبراني والبزار

وروي عن أنس رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال لأبي أيوب: «الا أدلك على تجارة، قال: بلى. قال؛ صل بين الناس اذا تفاسدوا وقرب بينهم اذا تباعدوا[1]

وجدير برجل الأمن الذي يجعل الاصلاح بين الناس همه ومقصده ان ينجح في اداء رسالته، ويشيع الأمن والسلام، ويطفىء نار العداوة والخصام بين الناس.

رجل الأمن واصلاح العصاة والمجرمين:

ويتحمل رجل الأمن مسئوليته باصلاح المذنبين الذين ظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم وظلموا مجتمعهم.

ونهديه في أداء مهمته هذه التوجيهات التالية:

١ ـ ملاحظة الفروق الخاصة بين المذنبين فليس من وقع أول مرة في الاثم، ومخالفة القانون كأصحاب السوابق الذين مرنوا عليها، وليس الشاب، كالكهل، وليس الرجل كالمرأة.

٢ ـ التذكير بالتوبة ووصل المذنبين بسعة رحمة الله ومغفرته اذا تابوا توبة نصوحا.

للنفس الانسانية مداخلها، وقد يجد الانسان في السجن فترة يحاسب فيها نفسه، ويعرف خطأه، فاذا وجد من يحسن تذكيره بربه، وعفوه، وينادي لاصلاح ما بقي من حياته في ظل منهج الله، ليجد الله غفورا رحيما، فمثل هذا التوجيه من شأنه أن يساعد في الاصلاح من الداخل، حتى اذا انتهت فترة العقوبة عاد الى المجتمع عضوا سليما معافى، عاملا منتجا بدل أن يعود وقد كسب خبرة بالسوء وافسادا في الأرض.

---

١ ـ رواه البزار.

رجل الأمن الانسان:

ورجل الأمس يتصل بحكم عمله بأصناف مس الناس بحاجة الى رحمته ورعايته.

فهؤلاء الذين سقطوا في الطريق بحاجة وهم يقضون فترة العقوبة الى حظ مس الرحمة يستنقذ بقية الخير فيهم حتى لا يتحولوا الى عتاة مجرمين.

فهذا الانسان السجين الذي فقد حريته بحكم القضاء لفترة مس الزمن، وهذا السجين لا ندري ما وراء جريمته فللنفس الانسانية اسرارها، وغموضها، وظروفها، والقاضي الذي أنزل العقوبة ليس معصوما مس الخطأ.

وللمجتمع والبيئة التي ينشأ فيها الانسان تأثيرها، وآثارها وضغوطها، وأمراضها، وقد يكون السجن المصح الذي يشفى به هؤلاء المخطئون اذا لمستهم يد راعية حانية، بصرتهم بخطئهم، واعادت الثقة الى أنفسهم، وبعثت فيهم الأمل ليستنفذوا انسانيتهم من ركام الخطايا ويستنفذوا قلوبهم مس قساوة التمرد والاجتراء على الباطل

وقد أولت الأنظمة المعاصرة السجناء عناية كبيرة، وحولت كثير من الدول السجون الى دور اصلاح يتعلم فيها السجين مهنة شريفة، ويمارس بعض الأعمال القريبة الى نفسه، ويستمتع بالشمس والهواء، والتلفاز والصحف، والتجول في حدائق السجن الواسعة، وأسباب الترفيه فيه، واستقبال زواره من اهله ومعارفه.

والاسلام دين الرحمة، أولى الناس برحمة هؤلاء الضعفاء الذين سقطوا في الطريق، فما أحوجهم الى اليد الكريمة الحانية التي تساعدهم على النهوض والشفاء والاصلاح.

والآيات والاحاديث في هذا الباب كثيرة منها:

قال تعالى: ﴿قل ياعبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم * وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون * واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون﴾[1]

وقال تعالى: ﴿واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى[2]

وقال رسول الله (ﷺ) «لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه، من احدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك، اذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شده الفرح: اللهم انت عبدي وأنا ربك اخطأ من شده الفرح»[3]

وقال (ﷺ) «ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها[4]

---

١ - سورة الزمر الآية ٥٣ - ٥٥.

٢ - سورة طه الآية: ٨٢.

٣ رواه البخاري ١١، ٩١، ٩٢ ومسلم رقم ٢٧٤٧

٤ - رواه مسلم، رقم ٢٧٦٠

كما نجح رجل الأمن في اختراق حواجز قلوب العصاة بنور التوبة، بعث الأمل في نفوسهم لاستئناف حياة كريمة وبدء صفحة جديدة وضيئة، وانه اذا فاتتهم فرصة فيما مضى من العمر، فلا تفتهم الفرصة فيما بقي من العمر، والأمور بخواتيمها، وكلما كان التوجيه عميقا مؤثرا صادقا كانت له آثاره في استنقاذ نفوس تراكمت عليها الخطايا وضلت بها السبل.

رجل الأمن والمحافظة على أسرار الناس:

ورجل الأمن بحكم عمله يطلع على كثير من أسرار الناس وأحوالهم، وشرف العمل يقتضي المحافظة على هذه الأسرار، واصلاح من كشفت الأجهزة أمره سرا، تحت جناح الستر. باسداء النصيحة الهادية والتبصير بالعواقب قبل وقوعها. والنصيحة بناء واصلاح، وفرق كبير بينها وبين الفضيحة التي تهدم وتكسر الحاجز النفسي الذي يمنع الانسان من الاجتراء على المعصية أو القانون والنظام.

وقد حذر رسول الله (ﷺ) من المجاهرة بالمعصية واعلانها، لأن ذلك يشجع عليها. قال رسول الله (ﷺ) «كل أمتي معافى الاَّ المجاهرين[1]

وأرشدنا رسول الله (ﷺ) على المحافظة على ثوب الستر لا يخرق ويكون خرقه شرا على صاحبه وعلى المجتمع بالتقليد الآثم الظالم.

وفي الحديث عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ان النبي (ﷺ) قال: «ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»[2].

---

١ رواه أبو داود

٢ ـ رواه أبو داود والنسائي.

وعن دخير أبي الهيثم كاتب عقبة بن عامر قال: قلت لعقبة بن عامر ان لنا جيرانا يشربون الخمر وأنا داع لهم الشرط. قال: لا تفعل وعظهم وهددهم قال: اني نهيتهم فلم ينتهوا وانا داع لهم الشرط ليأخذهم، فقال عقبة: ويحك لا تفعل فاني سمعت رسول (ﷺ) يقول: «من ستر عورة فكأنما استحيا مؤودة في قبرها.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله (ﷺ) المنبر فنادى بصوت رفيع فقال؛ يامعشر من أسلم بلسانة ولم يفض الايمان الى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا فانه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحة، ولو في جوف رحله ونظر ابن عمر يوما الكعبة فقال: ما أعظمك وما أعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك»[1]، الا أنه قال فيه: يا معشر من أسلم بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيّروهم، ولا تطلبوا عثراتهم، الحديث.

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ)يامعشر سن آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فانه من اتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومس تتبع الله عورته يفضحه في بيته[2]

وعن معاوية رضي الله عنه: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «انك ان اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم أوكدت تفسدهم»[3]

---

١ ـ رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه

٢ ـ رواه أبو داود عن سعيد الخدري، ورواه أبو يعلى باسناد حسن من حديث البراء.

٣ رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه.

وعن شريح بن عبيد عن جبير بن نفير، وكثير بن مرة، وعمرو بن الأسود، والمقدام بن معد يكرب وأبي أمامة رضي الله عنهم عن النبي (ﷺ) قال: ان الأمير اذا ابتغى[1] الريبة في الناس أفسدهم[2]

وفي رعاية السجين وحسن تعهده نذكر قوله تعالى:

﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيرا، انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا * انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا * فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نظرة وسرورا﴾[3].

وتشمل كلمة الأسير، هؤلاء الذين حجزت حريتهم بحكم الحرب، أو بحكم القانون، فالعلة الداعية الى رعايتهم واحدة وهي حجز الحرية.

وقد ذكر لنا التاريخ الاسلامي صورا مشرقة لهذا الايثار منها ما ذكره أبو عزيز بن عمير أخو مصعب. الذي وقع أسيرا بيد المسلمين في غزوة بدر، وكيف كان من أسروه يؤثرونه بالطعام والتمر على أنفسهم[4]

---

١ ـ طلب الشكوك أوقعهم في الضلال. معناه الحاكم ان أدخل الأوهام والظنون السيئة على قومه جرأهم على الفسوق، وفتح لهم باب الاضرار والاجرام، والمراد الاجتهاد في ستر الذنوب.

٢ رواه أبو داود من رواية اسماعيل بن عياش.
أنظر: الترغيب والترهيب. جـ ٣ ص: ٢٣٩، ٢٤٠

٣ ـ سورة الانسان. الآية: ٨ ـ ١١

٤ ـ مختصر السيرة النبوية الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالله الوهاب.

والمتأمل في الآيات الكريمة يجد مايلي:

١ ـ محسن يقدم طعامه وهو محتاج اليه، الى فقير واسير أشد حاجة.

٢ ـ لا يرجو المحسن ممن أحسن اليه جزاء ولا شكورا.

٣ ـ يبذل ما يبذله لوجه الله ورضوانه، ومن رضوان الله أن يعود هذا الأسير عضوا صالحا في المجتمع فينجو، وأن يمن الله على المحسن باحسانه يوم القيامة، فينجو من عذاب الله وبهذه اللمسات الحانية لا يتحول المجتمع الاسلامي الى مجتمع حقد وكراهية وجريمة شأن المجتمعات المادية. وانما يتحول الى مجتمع رحمة ومحبة واصلاح وتعاون على البر والتقوى تلتقي فيه الدنيا بالآخرة، ويصنع فيه الايمان معجزاته ويحقق آثاره في اصلاح النفوس، واجتثاث بذور الجريمة من نفس الانسان، باستثارة معاني التقوى والتذكير باليوم الآخر، والتنبيه على ما يجده المحسنون والتائبون من فضل الله وعفوه ورحمته، اذا احسنوا العمل وصدقوا في التوبة وقد وردت الأحاديث النبوية تحث على غرس هذه القيم وتعميقها في نفوس المؤمنين منها.

عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»[1]

وعن أبي موسى رضي الله عنه أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: لن تؤمنوا حتى تراحموا، قالوا: يارسول الله كلنا رحيم؛ قال: انه ليس برحمة أحدكم صاحبة ولكنها رحمة العامة[2]

وأولى الناس برحمة العامة أصحاب الولايات عليهم ومنهم رجال الأمن.

---

١ ـ رواه البخاري ومسلم والترمذي.

٢ رواه الطبراني ورواته رواه الصحيح.

ويضع رسول الله (ﷺ) هذه التوجيهات الكريمة لمن ولاهم الله أمر الناس حتى يحفظ الله عليهم نعمه ويزيدهم قوة الى قوتهم.

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال؛ قام رسول الله (ﷺ) على بيت فيه نفر من قريش، فأخذ بعضادتي الباب، فقال: هل في البيت الا قرشي؟ فقالوا: لا الا ابن اخت لنا، قال: ابن اخت القوم منهم ، ثم قال ان هذا الأمر في قريش ما اذا استرحموا رحموا، واذا حكموا عدلوا، واذا أقسموا أقسطوا، ومن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[1]

وفي النذير الذي تحمله اللعنة في خاتمة الحديث عظة لأهل الحكم والولاية ان يكسبوا محبة الناس ودعواتهم الصالحة بالرحمة والعدل والصدق، بدل أن تكون لعنة وعذاب كبير. والرحمة والعفة واقامة العدل بين الناس صفات مميزة للانسان المسلم.

عن عياض رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال[2]

---

١ رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورواته ثقات.

٢ ـ رواه مسلم.